

دلائل الإعجاز

(ولكنّا يا أمّ عمرٍو نديمُنا ... بمنزلة الرّيانِ ليسَ بعائِمٍ) .

أسّـركَ . . . البيتِين .

فإِذا رُبَّ هَزَلٍ أَدَاةٌ فِي جَرْدٍ ۖ وَكَلَامٍ جَرَى فِي بَاطِلٍ ثُمَّ اسْتُعِينَ بِهِ عَلَى حَقٍّ ۖ كَمَا أَنَّهُ رُبَّ شَيْءٍ خَسِيسٍ تُؤْمَصُّ لَـ بِهِ إِلَى شَرِيفٍ بِأَنَّهُ رُبَّ مَثَلٍ فِيهِ وَجُعِلَ مَثَلًا لَهُ .
كما قال أبو تمام - الكامل - : .

(وَاللّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ ... مَثَلًا مِنْ الْمَشْكَاةِ وَالذَّبَّاسِ) .
وعلى العكس فربّ كلمةٍ حقٍّ أَرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ فَاسْتَحَقَّ عَلَيْهَا الذَّمَّ ۖ كَمَا عَرَفْتَ مِنْ خَبَرِ الْخَارِجِيِّ ۖ مَعَ عَلِيٍّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ . وَرَبَّ قَوْلٍ حَسَنٍ لَمْ يَحْسُنْ مِنْ قَائِلِهِ
حِينَ تَسَبَّبَ بِهِ إِلَى قَبِيحٍ كَالَّذِي حَكَى الْجَاحِظُ قَالَ رَجَعَ طَاوُوسٌ يَوْمًا عَنْ مَجْلِسِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ وَهُوَ يَوْمِئِذٍ وَالِي الْيَمَنِ فَقَالَ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ قَوْلَ " سُبْحَانَ اللَّهِ " يَكُونُ مَعْصِيَةً ۖ حَتَّى كَانَ الْيَوْمُ سَمِعْتُ رَجُلًا أَبْلَغَ ابْنَ يَوْسُفَ عَنْ رَجُلٍ كَلَامًا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! كَأَلَمْ تُسْتَغْثَمْ لِذَلِكَ الْكَلَامِ لِيُغَضِبَ ابْنَ يَوْسُفَ .
فبهذا ونحوه فاعتبروا واجعلوه حُكْمًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّعْرِ .

وبعدُ فكيفَ وَضَعَ مِنَ الشَّعْرِ عِنْدَكَ وَكَسَبَهُ الْمَقْتَةُ مِنْكَ أَنْتَ وَجَدْتَ فِيهِ الْبَاطِلَ
وَالْكَذِبَ وَبَعْضَ مَا لَا يَحْسُنُ وَلَمْ يَرْفَعْهُ فِي نَفْسِكَ وَلَمْ يُوجِبْ لَهُ الْمَحَبَّةَ مِنْ قَلْبِكَ
أَنْ كَانَ فِيهِ الْحَقُّ ۖ وَالصَّادِقُ ۖ وَالْحَكِيمُ ۖ وَفَصْلُ الْخِطَابِ وَأَنْ كَانَ مَجْنُونًا ثَمَرَ الْعَقُولِ
وَالْأَلْبَابِ وَمُجْتَمَعِ فِرْقِ الْأَدَابِ وَالَّذِي قَدَّ عَلَى النَّاسِ الْمَعَانِي الشَّرِيفَةَ
وَأَفَادَهُمُ الْفَوَائِدَ الْجَلِيلَةَ